أصول اعتقاد أهل السنة

(القصيدة الحائية في السنة)

للحافظ

أبي بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

(٢٣٠- ٣١٦هـ)

اعتنى بها وأسندها وعلّق عليها

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعدُ:

فهذه قصيدةُ الإمام الحافظ أبي بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، والتي ضمّن فيها عقيدةَ أهل السنة والحديث في أشهر مسائل الاعتقاد، وجعل هذه القصيدة محنته ، حيث يمتحن بما فيها من جاءه للرواية أو الصحبة، فمن وافقه فيها قبله، ومن خالف في شيءٍ منها رفضه، وهذا من عظيم مبلغ حرصه على سلامة الصحبة، وانتقاء الصحبة وتمحيصها: طريقة شرعية سلفية.

وقد منّ الله تعالى عليّ منذ ما يزيد على خمسة عشر سنة بحفظ هذه القصيدة وتكرار شرحها عشرات المرات لجموع من الإخوان في دروسٍ عامة وخاصة، وأمليت عليها شروحاً عدّة غيرة مرة.

وقد شرحها جماعة من أهل العلم: منهم أبو الحسين الآجري رحمه الله تعالى ، والعلامة السفاريني الحنبلي في شرح طويل سماه **"لوائح الأنوار السَّنية ولواقح الأفكار السُنيّة شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية"** .

وهذه القصيدة ثابتة عن ناظمها بالتواتر، حتى قال الحافظ الذهبي في " العلو " : «**هذه القصيدة متواترة عن ناظمها**» [مختصر العلو: ٢٢٩] .

وقد صح لي روايتها –ولله الحمد– بأسانيد متعددة إلى خمسة من الآخذين عنه وهم الآجري وابن شاهين وابن شاذان وابن بطة وأبو بكر الصفار.

ولكثرة المشيخة –ولله الحمد– وتفاوت الرُّتَب، ورجوع عامة الأسانيد إلى الأثبات المشهورة، فإنني أختار من الأسانيد بعض ما يحقق الغرض.

فأقول: أخبرنا شيخنا العلامة فقيه الحنابلة في وقته عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل قال أخبرنا شيخنا علي بن ناصر أبو وادي.

ح وأخبرنا شيخنا شمس الحق الملتاني عن أبيه الشيخ أبي محمد عبدالحق الملتاني .

ح وأخبرنا شيخنا عبدالغفار حسن الرحماني وعبدالقيوم الرحماني كلاهما عن أحمد الله الدهلوي.

ح وأخبرنا شيخنا محمد إسرائيل الندوي عن الشيخ عبدالحكيم جيّوري .

ح وأخبرنا شيخنا فيض الرحمن المئوي عن أبي القاسم البنارسي .

كل هؤلاء [أبو وادي والملتاني والدهلوي وجيوري والبنارسي] وغيرهم قالوا أخبرنا محدث الهند الشيخ سيد نذير حسين الدهلوي قال أخبرنا محمد إسحاق الدهلوي عن جدِّه لأمّهِ عبدالعزيز الدهلوي عن أبيه ولي الله الدهلوي صاحب "الإرشاد" قال: أخبرنا أبو طاهر الكوراني عن الشيخ عيسى المغربي عن أبي الحسن علي بن محمد المصري عن سالم السنهوري عن النجم الغِيطي عن الزين زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي هريرة بن الذهبي عن والده الحافظ الشمس محمد الذهبي قال: أخبرنا أحمد بن عبدالحميد أنبأنا محمد ابن قدامة سنة ثماني عشرة وستمائة أخبرتنا فاطمة بنت علي ، أنبأنا علي بن بيان – أبو القاسم الرزاز – أنبأنا الحسين بن علي الطناجيري أنبأنا **أبو حفص بن شاهين** قال: قال شيخنا أبو بكر عبدالله بن أبي داود [١].

ح ويرويه ابن قدامة عن أبي العباس أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي عن عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن كليب الحراني أبي الفرج عن علي ابن أحمد ابن بيان الرزاز به[٢].

وكل من روى عن ابن عبدالدائم بالإجازة يصح الاتصال بهم من طريقه إليها .

---

[١] من "مختصر العلو" (ص٢٢٨).

[٢] من "سماعات كتاب العقيدة لابن شاهين" (ص٩-١٠).

ح وبالإسناد إلى ابن حجر: أخبرنا أحمد بن أحمد بن محمد بن أبي المجد الحسيني عن محمد بن جابر الوادياشي عن أبي العباس أحمد بن محمد ابن الغماز عن أبي الربيع سليمان بن موسى الحميري الكلاعي عن أبي القاسم عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الأندلسي عن عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي عن محمد بن فرج القرطبي مولى ابن الطلاّع عن أبي عمرو أحمد ابن محمد بن جهور المرشاني عن **أبي الحسين الآجري** سنة (٣٥٨هـ) قال أنشدنا أبو بكر بن أبي داود.

ح وبالإسناد إلى ابن حجر قال: أخبرنا إبراهيم بن أحمد التنوخي عن أبي العباس الحجار أخبرنا أبو العباس أحمد بن يعقوب المارستاني الصوفي إجازة أخبرنا أبو المعالي محمد بن محمد الحريمي العطار عُرف بابن الجبّان اللحّاس أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد ابن البسري البغدادي البندار إجازة أخبرنا أبو عبدالله عبيدالله بن محمد ابن بطة العكبري إجازة **قال ابن بطة** أنشدنا أبو بكر بن أبي داود .

ولي أسانيد أخرى إلى ناظمها .

قال أبو الحسين **الآجري** [الشريعة : ٥٩١]، و**ابن بطة** [طبقات الحنابلة : ٢/ ٥٣-٥٤] و**ابن شاهين** [السنة :٣٢١-٣٢٣] و [مختصر العلو للذهبي : ٢٢٨-٢٢٩] و**ابن شاذان** [الحدائق الغنّاء : ؟] و **أبو بكر الصفار** [تاريخ بغداد : ١/ ٣١٧] : قالوا :

القصيدة الحائية في السنة

أنشدنا أبو بكر ابن أبي داود -عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني- هذه القصيدة من حفظه.

قال الآجري: في مسجد الرصافة يوم الجمعة لخمسٍ بقين من شعبان سنة تسعٍ وثلاثمائة **وجعلها محنته**[1]:

---

[1] معنى قوله «**وجعلها محنته**» أي يمتحن بها من جالسه، والامتحان مشروع لمن خفي حاله كما جاء في آية الممتحنة، وقد كان جماعة من أهل العلم يمتحن ببعض كتب أهل السنة ومقالاتهم من جالسه أو أراد الأخذ منه، كما روى أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المرءُ على دِين خليله ، فلينظرْ أحدُكُم مَن يُخَالِلْ**» ومن متطلبات النظر البحث عن دينه وعقله.

وقال الإمام محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» رواه مسلم في "مقدمته".

وقال البربهاري في "شرح السنة": «والمحنة في الإسلام بدعة، وأمّا اليوم فيمتحن بالسنة».

ونقل الحافظ ابن حجر في "التهذيب" عن زائدة بن قدامة الثقفي أنه كان لا يحدّث أحداً حتى يمتحنه، وذكر أنَّ زهير بن معاوية كلَّمه في رجلٍ كي يحدثه، فقال زائدة: «مِنْ أهلِ السنة هو؟» قال: ما أعرفه ببدعة، فقال: «مِنْ أهل السنة هو؟» فقال زهير: متى كان الناس هكذا؟ فقال زائدة: «متى كان الناس يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؟!».

وفي "طبقات الحنابلة" أن البربهاري لم يكن يجلس مجلساً إلاّ ويذكر فيه أن الله عزّ وجلّ يقعد محمداً ﷺ معه على العرش.

وفي "تاريخ الخطيب" أن محمد بن عبدالواحد -المعروف بغلام ثعلب- كان قد أَلَّف جزءً في الأحاديث الواردة في فضائل معاوية ﷺ، وكان لا يترك أحداً يقرأ عليه شيئاً حتى يقرأ ذلك الجزء ، ثم يقرأ عليه بعده ما قصد له .

تمسكْ بحبلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ولا تكُ بِدعيّاً لَعَلّكَ تُفْلِحُ[١]
ودِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنَ الّتي أتتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُوْ وتَرْبَحُ[٢]
وقُلْ غَيرَ مخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الأتْقِياءُ وأفْصَحُوا[٣]

وفي "التهذيب" أن هشام بن عمار لقي شهاب بن خراش بن حوشب قصده ليروي عنه، فقال له: «إن لم تكن قدرياً ولا مرجئاً حدثتك، وإلاّ لم أحدثك».

فهذا كلُّه يدل على مشروعية الامتحان في الدين.

ثم الامتحان قد يكون بالمقالة وبالنِّحلة وبالأشخاص، فمن الامتحان بالمقالة كإثبات الصفات، والقدر، وحب الصحابة، وبالنِّحلة كذم الجهمية والقدرية والرافضة، وبالأشخاص مدحاً وذماً بمدح أئمة أهل السنة وإعلاء ذكرهم عند الطرف الآخر، وذم أهل البدع وامتهانهم ليُعرف موقف المجالس من ذلك قبولاً ورفضاً.

[١] حث الناظم على التمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وهو القرآن الكريم، والهدى هدى النبي ﷺ، وهما أصل التشريع ومن أتى بعبادة لم ترد في الكتاب أو في السنة فهو مبتدع، ولهذا قال الناظم: «**ولا تك بدعياً**» أي لا تكن مبتدعاً، والابتداع من الاختراع والإتيان بشريعة جديدة ليست في الكتاب والسنة، فمن تمسك بالكتاب والسنة كان نصيبه الفوز في الدنيا والآخرة.

[٢] قوله: «**ودِن**» أي اعتقد وأيقن بما في الكتاب الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فمن تمسك بهما نجا وربح، ولهذا سميت الفرقة التي تتمسك بالكتاب والسنة بالفرقة الناجية، لنجاتها من الضلال في الدنيا، ومن الوعيد بالنار في الآخرة، ولما سئل عنهم النبي ﷺ قال: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» وقال النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتابَ الله وسنتي**» رواه الإمام مالك في "الموطأ".

[٣] ذكر المؤلف أربع مقالات للطوائف في صفة كلام الله تعالى وهذه الأقوال هي: قول أهل السنة، وبالضد منه من قال بخلقه، وقول اللفظية، وقول الواقفة، فهذه أربعة مذاهب ترجع إليها أصول مقالات الناس في كلام الله تعالى وفي القرآن الكريم.

ولا تكُ في ٱلقرآنِ بالوقفِ قائلاً كَمَا قَالَ أتباعٌ لِجهمٍ وأسجَحُوا[١]
ولا تقلِ : القرآنَ خلقٌ قرأتُه فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفظِ يُوضَحُ[٢]
وقلْ : يتجلّ اللهُ للخلقِ جهرةً كمَا البدرُ لا يُخَفَى وربُكَ أوضَحُ[٣]

والقول الحق قول أهل السنة بأن الله يتكلم كلاماً مسموعاً بحرف وصوت يتكلم به كيف شاء متى شاء، وأن القرآن المتلو والموجود في المصاحف اليوم من كلام الله تعالى تكلم به سبحانه وتعالى منه بدأ وإليه يعود.

[١] هذا فيه بيان مذهب الواقفة في القرآن، وهم الذين يسكتون ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق، وسكوتهم إن كان عن شك وعدم معرفةٍ للقول الحق فهو تجهم وكفر، وإن كان عن ورع مزعوم مع اعتقاد أنه كلام الله حقيقة فهو ورع بارد مذموم عند أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره، ولم يكن يسعهم السكوت عن الحق بعد أن تكلم أهل الباطل بالباطل.

وقوله: «**أسجحوا**» من السّجَحْ، ويراد به هنا التمويه من سججتُ له بالكلام أي عرّضت بمعنىً من المعاني، "لسان العرب"(٢/ ٤٧٥).

[٢] وفي هذا البيت الإشارة إلى مذهب اللفظية وهم الذين يقولون: «لفظي بالقرآن مخلوق» وهي مسألة حادثة تكلم بها بعض أهل البدع مكراً وخداعاً ليلبسوا الحق بالباطل، ومرادهم بذلك الملفوظ المقروء وهذا هو منتهى قول الجهمية القائلين بخلق القرآن، وقابلهم بعض الجهال وأطلقوا القول بأن اللفظ بالقرآن غير مخلوق!، وكلا القولين خطأ، والصواب التفصيل عن مرادهم باللفظ:

[١] فإن أراد المقروء فهذا غير مخلوق، وكلام الله غير مخلوق كيفما كان.

[٢] وإن أراد حركات اللسان وصوت الحلق فهذا مخلوق، فالكلام كلام الباري والصوت صوت القاري.

[٣] وهذه مسألة رؤية الله تعالى؛ وهي من المسائل الفارقة بين أهل السنة وأهل التجهم والضلال، وعقيدة أهل السنة أن الله تعالى يُرى في الجنة كرؤية القمر ليلة البدر، وقد ثبت ذلك بصريح القرآن الكريم، وصحيح السنة المتواترة، وإجماع أهل السنة، وصنف جماعة من أهل السنة في ذلك العديد

وليسَ بمولودٍ وليسَ بوالدٍ ... وليسَ لهُ شِبهٌ تعالى المسبَّحُ[١]
وقدْ يُنكرُ الجهميُّ هذا وعندنا ... بمصداقِ مَا قُلنا حَديثٌ مُصرِّحُ
رواهُ جريرٌ عنْ مقالِ محمدٍ ... فقلْ مثلَ مَا قَدْ قَالَ في ذاكَ تنجحُ[٢]
وقد يُنكرُ الجهميُّ أيضاً يمينَهُ ... وكِلتَا يَدِيهِ بالفواضلِ تنفَحُ[٣]

من المصنَّفات المفردة زيادة على الأبواب المدرجة في كتب السنة، ومن ذلك كتاب "التصديق بالنظر إلى الله تعالى" للآجري و"الرؤية" للدارقطني و"رؤية الله عز وجل" للنَّحاس، وغير ذلك.

[١] مهَّد الناظم بهذا البيت قبل الإشارة إلى الدليل لإثبات القاعدة الكلية الصفاتية بأنَّ الله تعالى في كل صفاته ليس له مثيل كما أنه في ربوبيته ليس له مثيل، فكما أنه ربٌّ لا مثيل له، فكذلك في صفاته لا مثيل له، فلا ترد لوازم الرؤية البشرية على رؤية الله تعالى، فالله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(الأنعام:١٠٣) فهو سبحانه يُرى حقيقة عياناً بالأبصار كما قال النبيﷺ.

[٢] هذا فيه إفحام الجهمي المنكر لحقيقة رؤية الله تعالى متجلياً واضحاً أوضح من رؤية القمر ليلة البدر، بما ثبت في "الصحيحين" عن جرير بن عبدالله البجليرضي الله عنه قال: كُنَّا عند رسولِ الله ﷺ فنظرَ إلى القمر ليلةَ البدر، وقال: «**إنكم سترَونَ ربكم عيانا، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**» والأحاديث في الباب بلغت حدّ التواتر الذي لا يدفع، وليس المراد تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن تأكد معنى وضوح الرؤية بالرؤية للقمر في ليلةٍ ليس فيها قتر ولا سحاب.

«**لا تضامون**» بتخفيف الميم وتشديدها، وبالتخفيف من الضيم، أي لا يدركهم ضيم في رؤيته، وبالتشديد من التضام أي لا تحتاج رؤيته بأن ينضم بعضكم إلى بعض فكلهم يرونه بكل وضوح.

وفي رواية بالراء «**لا تضارون**» أي لا يحول بينكم وبين رؤيته ضرر من سحاب وقتر.

[٣] وهذا فيه إثبات اليدين لله تعالى خلافاً للجهمية، وأشار الناظم إلى حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الْمُقْسِطِينَ عند الله على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمينِ الرَّحْمنِ -وكلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الَّذينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**» أخرجه مسلم والنسائي، وأدلة إثبات اليدين لله تعالى كثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة.

وقلْ ينزلُ الجبارُ في كلِّ ليلةٍ بلا كيفَ جلَّ الواحدُ المتمَدِّحُ[١]
إلى طبقِ الدنيا يمنُّ بفضلِه فتُفْرَجُ أبوابُ السماءِ وتُفتحُ
يقولُ ألا مُستغفرٌ يلقَ غافراً ومُسْتَمْنِحٌ خَيراً ورزقاً فيُمنحُ
روى ذاكَ قومٌ لا يُردُّ حديثُهُم ألا خابَ قومٌ كَذَّبُوهُمْ وقُبِّحوا[٢]
وقُلْ إنَّ خيرَ الخلقِ بعدَ محمدٍ وزيراهُ قِدْماً ثُم عُثمانُ الأرجحُ[٣]
ورابعُهُمْ خيرُ البريةِ بعدَهم عليٌّ حَليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنجحُ[٤]

---

[١] وهذا فيه إثبات النزول الإلهي إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وأحاديث النزول متواترة عند أهل السنة والجماعة، وذكروا ذلك على وجه التفصيل والإجمال في مؤلفات مفردة بمسألة النزول، وجمعَ أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية الكثير من أدلة هذه الصفة في "شرحه لحديث النزول" وهو مهم للغاية يجب مراجعته.

[٢] وقوله: «**روى ذاك قوم لا يرد حديثهم**» فيه إشارة إلى تواتر الأخبار بنزول الملك الجبار سبحانه وتعالى، وقد حكى تواتر أخبار النزول جماعة من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن الذهبي وغيرهم.

[٣] وهذا فيه مسألة المفاضلة بين الصحابة، وذكر المؤلف عقيدة أهل السنة بالإجماع في تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على كلّ الصحابة في الأفضلية، وهما وزيرا النبي ﷺ، وأقرب أصحابه منه منزلة وصحبه ومؤازرة، ثم بعدهم عثمان بن عفان ﷺ وهو الأرجح عند جماهير أهل السنة، وقد قال غير واحدٍ من السلف: «من فضّل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار» والأدلة على أفضلية هؤلاء الثلاثة ﷺ كثيرة مستفيضة جداً يضيق المقام بذكرها.

[٤] وهذا فيه ذكر رابع الصحابة فضيلة وهو ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته: علي بن أبي طالب ﷺ، شهد له النبي ﷺ بصدق محبته لله ولرسوله ﷺ، ومحبة الله ورسوله ﷺ له، وجعل الله محبته محنة للمبطلين، وفتنة للملحدين، وعزة للمؤمنين، فمن صدق في حبه فهو مؤمن وهذا مذهب أهل السنة، ومن فُتن بها وغلا فيه إلى حد رفعه إلى مقام الرسالة أو الألوهية فهو ملحد وهو مذهب

وإنهمُ للرَّهْطُ لا ريبَ فِيهُمُ على نُجُبِ الفِردَوسِ في الخُلدِ تَسْرحُ[١]
سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطلحةٌ وعامرُ فهرٍ والزبيرُ المُمَدّحُ[٢]
وقلْ خيرَ قولٍ في الصحابةِ كلِّهِمْ ولا تَكُ طَعْاناً : تعيبُ وتجرحُ[٣]

الرافضة، ومن تطاول عليه وذمه فهو مبطل مرتاب وهو مذهب النواصب، ولهذا قال الإمام القحطاني في إشارته إلى هذه المواقف الثلاثة:

لا تنتقصه ولا تزد في قدره فعليه يصلى النار طائفتان

وفضائل علي بن أبي طالب ﷺ ومناقبه كثيرة جداً، مذكورة في مواطن عديدة.

[١] هذا فيه إثبات الاعتقاد بأن هؤلاء الأربعة ومن سيأتي ذكره من بقية العشرة هم من أهل الجنة بلا ريب، لنص النبي ﷺ على أنهم في الجنة، قال ﷺ: «**أَبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليّ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزُّبيرُ في الجنة، وعبد الرحمن بنُ عوف في الجنة، وسعدُ بنُ أبي وَقَّاص في الجنة، وسعيدُ بنُ زيد في الجنة، وأبو عبيدةَ بنُ الجراح في الجنة**» رواه الترمذي وغيره، وكلهم من المهاجرين مع النبيﷺ، ومناقبهم مشرّفة رفيعة، وسيرهم حافلة بشتى صنوف معالم نصرة الدين، والتقوى والزهد والورع، سلك الله بنا طريقهم، وجمعنا بهم في جنات النعيم.

[٢] وهذه أسماء بقية العشرة المبشرين بالجنة، «**سعيدٌ**» يعني ابن زيد بن عمرو بن نفيل أبو الأعور العدوي توفي سنة خمسين أو بعدها، و«**سعدٌ**» هو ابن أبي وقاص مالك بن وهيب أبو إسحاق الزهري أول من رمى بسهم في سبيل الله، توفي سنة خمس وخمسين للهجرة وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة وفاة، و«**ابن عوفٍ**» عبدالرحمن بن عوف الزهري مات سنة اثنتين وثلاثين، و«**طلحةٌ**» هو ابن عبيدالله بن عثمان التيمي أبو محمد المدني استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين، «**عامر فهرٍ**» هو أبو عبيدة عامر عبدالله بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الأمة، مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، و«**الزبير**» هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى القرشي الأسدي «**المُمَدَّح**» الممدوح بالخير، استشهد بعد منصرفه من وقعة الجمل سنة ست وثلاثين.

[٣] هذه هي القاعدة العامة في كلّ الصحابة ﷺ بغير استثناء، بذكر الجميل عنهم، ونشر محاسنهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، وغض الطرف عن ما حصل منهم من خطأ وزلل، والتماس

فقدْ نَطَقَ الوحيُ المبينُ بفَضْلِهِمْ وفي الفتحِ آيٌ للصحابةِ تمدحُ[١]
وبالقدرِ الـمَـقْـدُورِ أيقنْ فإنّه دِعامةُ عِقْدِ الدّينِ والدّينُ أفْيَحُ[٢]

العذر لهم، لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نهانا عن ذمّ أصحابه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسولُ اللهﷺ: «**لا تَسُبُّوا أصحابي فلو أن أحدا أَنفَقَ مثلَ أُحُد ذَهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ**» ومن السنة أن نقتدي به ﷺ فهو يحب أن لا تنشر مثالب أصحابه، وأن يكون سليم الصدر عليهم وكذلك يجب أن يكون المسلم قال ﷺ: «**لا يُبَلِّغُني أحد عن أحد من أصحابي شيئا، فإني أُحِبُّ أن أخرجَ إليهم وأنا سليمُ الصدر**» رواه أبو داود والترمذي، وروى الترمذي في "السنن" عن عبدالله بن مغفل ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لِيُبَلِّغ الحاضرُ الغائبَ، اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تَتَّخِذُوهُم غَرَضا بعدي، فمن أحبَّهم فَبحبِّي أحبَّهم، ومَنْ أبغضَهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه، ومن يأخذه الله فيوشك أَن لا يُفْلِتَه**».

[١] مراده قول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ (الفتح:١٨) وقول تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (الفتح: ٢٩) وفيها الدلالة الواضحة على فضيلة الصحابة والتنصيص على رضوان الله تعالى عليهم، وأنهم خيار الخلق وأنصار الله ورسوله ﷺ.

[٢] هذا فيه الإيمان بالقدر، وهو تقدير الله تعالى لشؤون الخلائق، بما كان وما يكون، والإيمان به على أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، فالله تعالى عليم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فيؤمن المسلم بأن علم الله تعالى سابق، وأنه لا يقع شيء في

الوجود إلا وقد سبق علم الله تعالى به قبل أن يقع، والدليل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ﴾ (سبأ:٢) ، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام:٥٩) ، وقال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ الآية (فاطر:١١).

المرتبة الثانية: أن الله تعالى كتب مقادير الخلائق في كتاب حفيظ، قبل أن يخلق الخلق بخمسمائة ألف سنة، فقال للقلم: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير الخلائق إلى يوم القيامة، فكل مقادير الخلائق وما يجري عليهم من خير وشر مكتوب عند الله تعالى في كتاب حفيظ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج:٧٠) وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد:٢٢) ، وكل ما يجري من الناس من مقادير، وتكتب عليهم إنما هو نسخة مما في الكتاب الأول، كما قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية:٢٩) .

المرتبة الثالثة: مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا راد لقضائه، ولا دافع لحكمه، ولا يكون في ملكه ما لا يريد، وجميع المخلوقات تحت قدرته فهو على كل شيء قدير، وأدلة مشيئة الله وقدرته كثيرة جداً.

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن ما شاءه الله وأراده واقع لا محالة، وأن أفعال الخلق خيرها وشرّها مخلوقة، قال شيخ الإسلام: «ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد.

ولا تُنْكِرَنْ جَهْلاً نَكِيراً ومُنْكَراً ولا الحَوضَ والميزانَ إنّكَ تُنْصَحُ[1]

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم . وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال الله تعالى : ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ*وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ**﴾ (التكوير:٢٨-٢٩) وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى ﷺ مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها» انتهى.

فهذه أربع مراتب عليها أُصول الإيمان بالقدر، وفي كلّ مرتبة من هذه المراتب خالف طوائف من القدرية، وهذه المراتب الأربع مترابطة في كلّ شيء من مقادير الله تعالى ولو في ريشة يتقلب بها الهواء، فالله يعلم عنها في سابق علمه، وكتب ذلك في سابق تقديره، ولم تتقلب إلا بمشيئته وتقديره، ولما شاء الله ذلك فيها خلقه وأوجده، ولو أراد جميع الخلق أن يدفعوا شيئا شاءه الله وأراده ما استطاعوا، كما لو اجتمع الخلق على أن يحدثوا ما لم يرده الله تعالى ما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

ومعنى «**دعامة عقد الدين**» أي لا يقوم الدين إلا به، من الدعم وهو التقوية، وجمعها دعائم، فالدين لا يتم ولا يكمل إلا بالإيمان بالقدر، قال عطاء: لقد لقيتُ الوليدَ بن عُبَادةَ بن الصامت، صاحبَ رسول الله ﷺ فسألته: ما كانت وصية أبيك لك عند الموت؟ فقال لي: دعاني فقال لي: يابني، اتق الله، واعلم أنك لن تَتَّقِيَ الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدَر كلِّه خيرِه وَشرِّه، وإن متَّ على غير هذا دخلتَ النار ، إني سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ : «**إنَّ أولَ ما خلق الله القلمُ، فقال له : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدَر ، فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد**» رواه أبو داود والترمذي.

[1] منكر ونكير أو ناكر هما الملكان اللذان يسألان الميت في قبره، والإيمان بذلك من جهتين، الأولى: إثبات السؤال، والثانية: معرفة أسماء الملائكة الذين يباشرون السؤال، وكل ذلك جاءت به السنة الصحيحة، من ذلك ما أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان ، فيقعدانه فيقولان : ما**

كنت تقول في هذا الرجل لمحمدﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعاً».

وما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : «**إذا قُبِر الميت -أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر؛ والآخر: النكير؛ فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا...** » الحديث.

وأما «**الحوض**» فهو حوض النبي ﷺ وقد جاءت السنة الصحيحة المتواترة في المعنى عن أكثر من خمسين صحابيٍّ بإثبات حوض النبي ﷺ وما جاء في وصفه بأن «**طول شهر وعرضه شهر، وماءه أحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، وعدد كيزانه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً**» كما جاء ذكر من يرد عليه من أهل السنة، ومن يُذاد عنه من أهل البدعة والإلحاد.

وأما «**الميزان**» فعقيدة أهل السنة إثباته، لعموم الأدلة الدالة على الوزن يوم القيامة، كقول الله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾(الأنبياء:٤٧) ، وقول الله تعالى: ﴿**وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ*وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾(الأعراف:٨-٩)، وله كفتان، كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، والمعروف بحديث البطاقة أنَّ رسولَ اللهﷺ قال : «**إنَّ الله سَيُخَلِّصَ رجُلا مِنْ أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيَنْشُرُ له تسعة وتسعين سِجلاً، كلُّ سِجلّ مِثْلُ مدِّ البَصَر، ثم يقول : أتُنْكرُ من هذا شيئاً؟ أظلمَك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا؛ يا ربِّ، فيقول : أفلَك عذر؟ فيقول: لا؛ يا رب، فيقول الله تعالى: بلَى إنَّ لك عِندَنا حسنة، فإنه لا ظُلْمَ اليوم، فتُخرجُ بطاقة فيها: أشّهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدا عبدُه ورسولُه، فيقول: احضُرْ وزنك، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنَّك لا تُظْلَمُ فتُوضَعُ السجلاتُ في كفَّة، والبطاقة في كفَّة، فطاشت السِّجلات، وثَقُلَتِ البطاقةُ، ولا يثْقُلُ مع اسمِ الله شيء**» أخرجه الترمذي.

وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أجساداً من الفَحْمِ تُطْرَحُ
على النَّهرِ في الفِرْدوسِ تَحْيَا بمائِه كَحبِّ حميلِ السيلِ إذ جاءَ يطفَحُ[1]
وإنَّ رسولَ اللهِ للخلقِ شافعٌ وقُلْ في عذابِ القبرِ حقٌّ موضّحُ[2]

وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يومَ القيامة لا يَزِنُ عِنْدَ اللهّ جَناحَ بَعُوضةٍ، وقال: اقْرَءوا ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنا﴾** (الكهف : ١٠٥) ».

وعن أبي سعيد الخدريﷺ عن رسول اللهﷺ قال : «**قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال : قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى؛ لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**» رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

[1] وهذا فيه ذكر عقيدة أهل السنة في مرتكبي الكبائر من أمة نبيناﷺ، وأنهم لا يخلدون في النار لو دخلوها، وإنما يعذبون إلى ما شاء الله تعالى، فيخرجون بأسباب عدة كشفاعة الشافعين أو سعة رحمة رب العالمين، وقد أشار الناظم إلى الحديث الثابت عن النبي ﷺ من قوله: «**وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيُخرجون من النار ، فكلُّ ابن آدمَ تأكله النار ، إلا أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتُحِشُوا ، فيُصَبُّ عليهم ماء الحياة ، فيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الحبَّةُ في حميل السيل**» متفق عليه من حديث أبي هريرة، ومثله جاء عن أبي سعيد الخدري وغيره ﷺ.

[2] ذكر الناظم في هذا البيت أصلين من أصول اعتقاد أهل السنة، أولهما: الإيمان بشفاعة النبي ﷺ للخلق يوم القيامة، ومراده الشفاعة الخاصة به، وهي لواء الحمد، والمقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في قوله:﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ (الإسراء:٧٩)، وفيه حديث الشفاعة الطويل وهو في "الصحيح" وهذه الشفاعة خاصة به بين سائر الأنبياء والمرسلين وكافة العالمين، وهناك من الشفاعات الدنيوية والأخروية أنواع أخر يشفع فيها النبيون والملائكة وسائر الصالحين والإفراط.

ولا تُكْفِرَن أهل الصلاة وإن عَصوا فكُلُهمُ يَعْصِي وذو العرشِ يَصْفَحُ[1]

ولا تَعتقدْ رأي الخوارجِ إنَّهُ مقالٌ لمن يهواهُ يُردي ويَفضحُ

والثاني: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، والقبور وإن كان ظاهرها في الدنيا إلا أن باطنها في عالمٍ برزخي حقيقي ما بين نعيم وعذاب، يمتد فيه القبر مد البصر، ويضيق حتى تختلف فيه الأضلاع، كلّ ذلك جاءت به السنة الصحيحة عن النبي ﷺ، والله تعالى يقول عن فرعون وقومه: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ**﴾ (غافر:٤٦)، ويقول تعالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(السجدة:٢١)، ويقول تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾(المؤمنون:٩٩-١٠٠).

[1] يذكر الناظم في هذا البيت عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة، وأن أهل السنة لا يكفرون مرتكب الكبيرة، ولا يحكمون له بكامل الإيمان، فهم وسط بين الخوارج والمرجئة، فيحكمون بإيمان بما معه من أصل الإيمان، ولا يصفونه بكامل الإيمان لما ارتكبه من كبائر، فيقولون: مؤمن بإيمانه فاسق بعصيانه.

وقوله «**أهل الصلاة**» أي أهل القبلة، لأن الصلاة هي شعار أهل الإسلام الظاهر، كما قال النبي ﷺ: «**نهيت عن قتل المصلين**» رواه أبو داود، ومثلها في الدلالة على صحة الإسلام ما هو أفضل منها وما هو أدنى كالتوحيد والزكاة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(التوبة:١١)، وقول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتِل الناسَ حتى يَشهدُوا أن لا إله إلا الله، أنَّ محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويُؤتوا الزكاةَ، فإذا فَعَلوا ذلِكَ عَصمُوا مني دِمائهُمْ، إلا بحقِّ الإسلام، وحِسابُهُم على الله**» متفق عليه.

فالصلاة لا تكون عاصمة للدم إلا ببقية دعائم الإسلام العظام وأهمُّها صدق التوحيد.

ولا تكُ مرجيًّاً لعوباً بدينِهِ ألا إنّما المُرجيُ بالــدينِ يمــزحُ[١]
وقل: إنّما الإيمانُ قولٌ ونيّةٌ وفعلٌ على قولِ النبيِّ مُصبَّحُ[٢]

---

[١] ذكر الناظم في هذين البيتين المخالفين لمذهب أهل السنة وهم الخوارج والمرجئة، وهم على طرفي نقيض في الضلال، فالخارجي غلا وأفرط حتى كفر من لم يستحق الكفر، فأرداه هذا القول وفضحه حتى استباح دماء المسلمين وحرماتهم، وبالضد منه مذهب المرجئ، وهو تساهل وفرط حتى حكم بكمال إيمان الفساق والعصاة، ولهذا قال الناظم «**ألا إنما المرجئ بالدين يمزحُ**» أي يلعب بدين الله تعالى، فالناس عنده في كمال وتمام: الذين في الصفوف الأول في المساجد مع الذي في خانات الفسق والمجون!، ولهذا قال إبراهيم النخعي: «**لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة ، تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري**» أي رقيق لا حدود فيه ولا ترهيب ولا زجر ولا حرام، فالأمر سواء بين التقي والشقي في الإيمان! ولاشك أن قولهم من هذه الجهة يحمل الناس على الانحلال عن الدين والجرأة على المحرمات.

فائدة: روى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال دخلت على المأمون، فقال: كيف أصبحت يا نضر؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين. فقال: ما الإرجاء ؟ فقلت: «دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون به من دينهم!» قال: صدقت. "البداية و النهاية" للحافظ ابن كثير (١٠/ ٢٧٦).

[٢] وهذا فيه بيان مذهب أهل السنة بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فكل العبادات القولية والعملية والقلبية داخلة في مسمى الإيمان وحكمه، وما سماه الشارع عبادة فهو من الإيمان كيفما كان.

ومعنى قوله «**على قول النبي مصبّح**» يحتمل أن المراد على صريح قول النبي ﷺ فيما روي عنه ﷺ أنه قال: «**الإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، ويقين بالقلب**» ولكن الحديث لا يصح وإن احتج به وبنحوه بعض أهل السنة، وأصح من ذلك كله عموم الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على دخول الأعمال في الإيمان، ذكرها أهل السنة ومنهم الآجري في "الشريعة" و ابن بطة في "الإبانة" والنبي النبي ﷺ يقول: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة**

وينقصُ طوراً بالمعاصي وتارةً بطاعته يُنمَى وفي الوزن يرجحُ[١]
ودعْ عنكَ آراءَ الرجالِ وقولِهم فقولُ رسولِ اللهِ أزكى وأشرحُ[٢]
ولا تكُ من قومٍ تلهَّو بدينِهم فتطعنُ في أهْلِ الحدِيثِ وتَقْدَحُ[٣]

الأذى من الطريق والحياء شعبة من الإيمان» وهذا الحديث يدل على دخول القول والعمل والاعتقاد في مسمى الإيمان.

[١] قوله «**يُنمى**» أي يزيد من النَّماء والزيادة، وهذا فيه ذكر أصل من أصول أهل السنة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والله تعالى ذكر في كتابه الكريم زيادة الإيمان والهدى، فقال :﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (الأنفال:٢) وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ (الأحزاب:٢٢) وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ (محمد:١٧) وما كان قابلاً للزيادة فهو عرضة للنقصان بل كان ناقصاً قبل زيادته، فدل ذلك على أن الإيمان يزيد وينقص.

[٢] هذا فيه ذم الرأي، وأهلِ الرأي، والمراد بالرأي المذموم هو الرأي المجرد عن أدلة الكتاب والسنة، المعارض لأصولها، وقد أعظم السلف الكلام في الرأي لأنه موكول إلى رأي البشر، وهم متباينون في الديانات والفهوم والعلوم، فتتعدد آراؤهم، ويختلف الناس في دين الله تعالى، والمنجاة من هذا كله الرجوع إلى مصدر واحد، وهما الكتاب والسنة.

وأنشدوا:

دين النبيِّ محمدٍ آثارُ نِعم المطيّة للفتى الآثارُ
لا ترغبنّ عن الحديثِ وأهلِهِ فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ

وصنَّف أبو إسماعيل الهروي كتابه "ذم الكلام" حشد فيه جملة من الأخبار والآثار في ذم الرأي وأهله.

[٣] والقوم الذين تلهو بدينهم هم أهل الأهواء لأنهم في الحقيقة يلعبون بالدين، ويصرفون نصوصه على ما تشتهي أهواؤهم، ومن شأن أولئك أنهم يطعنون في أهل الحديث، لأن في رجوعهم

إذا ما اعتقدتَ الـدهـرَ يا صـاحِ هَذِهِ فـأنـتَ عـلى خـيرٍ تبيـتُ وتُصْـبـحُ[1]

قال أبو بكر بن أبي داود : هذا قولي وقول أبي وقول أحمد بن حنبل رحمه الله، وقول من أدركنا من أهل العلم وقول من لم ندرك ممن بلغنا عنه، فمن قال عليّ غير هذا فقد كذب .

قال أبو عبدالرحمن بدر العتيبي: وهو قولي، وقول مشايخي أهل السنة ممن أدركتهم، وممن بلغني النقل عنهم من قديم الزمن، عليه أحيا، وعليه أموت بإذن الله تعالى، ومن نسب إليّ غير هذا، فقد كذب.

للحديث حجر لأهوائهم عن الميل إلى ما تشتهي أنفسهم، ولهذا هم يكرهون الحديث والتحاكم إليه، ويكرهون من يدعوهم إلى ذلك وهم أهل الحديث، فكانت العلامة البارزة لأهل الأهواء: الطعن في أهل الحديث، والمراد بأهل الحديث هم أتباع الأثر صدقاً وعدلاً بعلم وتجرد، وتاج أهل الحديث هم الأئمة الذين تكون بهم الحجة على العالمين، وبهم يمتحن أهل السنة المخالفين، فمن أحبهم وأثنى عليهم فهو على خير، ومن غمز فيهم، وأنكر طريقتهم فهو صاحب بدعة وهوى.

[1] إذا تمت لك العقيدة على ما ذكره الناظم في هذه الأبيات فهو على خير حال، وسعة بال، يبيت ويصبح، سالماً من الشكوك، والتذبذب والحيرة في دين الله، وأهل السنة هم أكثر الناس راحة وطمأنينة لأنهم لم يتكلموا إلا بما جاء في الكتاب والسنة، وما لم يرد فيهم سكتوا عنه، بعكس أهل الأهواء حيث أعرضوا عن الكتاب والسنة، وخاضوا في بحور الهوى، وأحدثوا في دين الله تعالى أصولاً ومذاهباً فتنوا بها الناس، فمن هداه الله إلى عقيدة أهل السنة الصافية النقية البعيدة عن مذاهب أهل الكلام، وأهل البدع اللئام، فليحمد الله تعالى، وليكثر من الشكر والثناء لله تعالى، وليفرح حيث أنجاه الله تعالى من تلك الأهواء، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (يونس:٥٨) ، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.